مجلة المعارف للبحوث و الدراسات التاريخية
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/111
ISSN: 2437-0584/ EISSN: 2437-0584
المجلد 07 ،العدد 01،ماي ،2021 ص - ص:90-103

العطاء الفكري لأحناف إفريقية حتى نهاية القرن الرابع الهجري.

ntellectual contribution of Hanaf Ifriqiya until the end of the fourth century AH.

د/ خالد حسين محمود(*)
كلية الآداب والفنون– جامعة حائل(المملكة العربية السعودية)، drkhd777@yahoo.com

تاريخ الاستلام: 2017/06/ 10 تاريخ القبول: 2020/09/ 21 تاريخ النشر: 2021/05/ 30

الملخص: تهدف هذه الدراسة التعرف على الدور الفكري والثقافي الذي مارسه أتباع المذهب الحنفي بإفريقية حتى نهاية القرن الرابع الهجري، وذلك من خلال رصد مؤشرات حضور هذا المذهب بإفريقية خلال فترة البحث، ثم تبني بعضهم للفكر الاعتزالي، ثم رصد أهم المجالات العلمية والفكرية التي برز فيها علماء الأحناف. وتعتمد الدراسة بالأساس على المنهج التاريخي الوصفي لأنه الأنسب لوصف الأحداث التاريخية، ناهيك عن الأسلوب التحليلي القائم على قراءة النصوص قراءة جيدة، وتحليل محتواها، والخروج منها بالنتائج التاريخية المدعمة لوجهة نظر الباحث حول دور الأحناف الفكري في افريقية خلال فترة البحث.

الكلمات الدالة: الأحناف ؛ إفريقية ؛ المذهب ؛ المعتزلة ؛ الفكر.

Abstrac: This study aims to identify the intellectual and cultural role practiced by the followers of the Hanafi school in Ifriqiya until the end of the fourth century AH, by monitoring indicators of the presence of this doctrine in Ifriqiya during the research period, then some of them adopted the Mu'tazili thought, then monitoring the most important scientific and intellectual fields in which the scholars of the Hanafites emerged .

Keywords: Hanafi; Ifriqiya; Mu'tazili; school; cultural.

* المؤلف المرسل.

1. مقدمة:

ينسب المذهب الحنفي إلى الإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطي الفارسي (80-150هـ/699-767م) ، أحد أقطاب الفقه، الذي تأثرت آراؤه الفقهية والاجتهادية ببعض النظريات الفلسفية التي تميزت بالجرأة والإمعان في الاعتماد على العقل . وقد قام مذهبه على الكتاب والسنة وأقوال الصحابة والقياس والاستحسان والإجماع والعرف . وغلب على أتباع هذا المذهب اسم العراقيين ، أو أهل العراق ، والكوفيين ، لأنه اذا ما قيل "الكوفي فالمراد به أبو حنيفة دون سائر فقهاء الكوفة" .

2.انتقال المذهب الحنفي الى افريقية:

انتشر المذهب الحنفي بالمشرق الإسلامي خلال حكم العباسيين باعتباره مذهبهم الرسمي، وكانت كل من الكوفة وبغداد مركزين رئيسيين لنشأة وتطور هذا المذهب ، ومنهما بدأ في الشيوع في بلاد بعيدة كمصر وبلاد فارس والهند واليمن . ولما كانت بلاد المغرب تابعة للعباسيين قبل قيام الدويلات المستقلة بها، فقد عرف المذهب الحنفي طريقه إليها ، يقول السلاوي :" أخذ أهله بعدها بمذاهب أهل العراق في الأصول والفروع لأن ذلك المذهب يومئذ هو مذهب الخلفاء بالمشرق والناس على قدم إمامهم". وبات المذهب السائد بإفريقية خلال النصف الثاني من القرن الثاني الهجري وأوائل القرن الثالث الهجري، ففضلاً عما انتهجه العباسيون من استراتيجية تقوم على خلق تبعية مذهبية من خلال جعل اعتناق المذهب الحنفي معياراً لتولي المناصب الدينية في الولايات التابعة لهم ، تبني الأغالبة لهذا المذهب باعتباره المذهب الرسمي للدولة العباسية التي يدينون لها بالولاء، ،ولذا فقد اعتادوا على إرسال بعثات دورية إلى بغداد لجلب العلماء ومنهم علماء الحنفية، واقتناء الكتب في شتى العلوم والمعارف . وتؤكد النصوص المصدرية تلك الحقيقة، فقد ذكر القاضي عياض أن "إفريقية وما وراءها من المغرب فقد كان الغالب عليها في القديم مذهب الكوفيين"، ويقول عن حال إفريقية قبيل تولي سحنون بن سعيد(ت240هـ /854م) القضاء" أكثر الفقهاء كانوا إذ ذاك على رأي الكوفيين" ، ويقول ابن فرحون عن مذهب أبي حنيفة: "وظهر بإفريقية ظهوراً كثيراً إلى قريب

من أربعمائة عام"، وحسب شهادة محيي الدين الحنفي كان "مَذْهَب أبي حنيفَة بإفريقية وهى عُمْدَة بِلَاد الْمغرب أظهر"، واشار البكري إلى سيطرة المذهب الحنفي خلال القرن الثاني الهجري على الزاب والقيروان وتهودة، وحسب رواية المقدسي كان الغالب على إفريقية خلال ق4هـ/10م مذهب أبي حنيفة ومذهب مالك، ويذهب ابن خلكان إلى أن المذهب الحنفي بإفريقية ظل حتى أوساط ق5هـ/11م أظهر المذاهب حتى حمل المعز بن باديس((398-454هـ/ 1008-1062م)) جميع أهل المغرب على التمسك بمذهب المالكية. وهي رواية يفهم منها دعم الفاطميين للمذهب الحنفي، وهو ما تؤكده رواية القاضي عياض القائلة:" وكان الظهور في دولة بني عبيد لمذهب الكوفيين لموافقتهم إياهم في مسألة التفضيل، فكان فيهم القضاء والرئاسة وتشرق قومهم منهم لمسرتهم واصطياداً لدنياهم وأخرجوا أضغاثهم عن المدنيين فجرت على المالكية في تلك المدة محن، ولكنهم مع ذلك كثير".

وهكذا عرفت إفريقية خلال فترة البحث عائلات كاملة كانت على المذهب الحنفي مثل "بني قادم"[1]،الذين كان لهم مسجد ينسب إليهم تقرأ فيه كتب أبي حنيفة[2]، و"بني وهب" و"بني الثوام"[3]، و"بني المنهال"[4].ومن إفريقية انتقل المذهب الحنفي إلى المغربين الأوسط[5] والأقصى[6]، وصقلية[7]، والأندلس[8].

لم تتفق كلمة المصادر حول بداية دخول المذهب الحنفي إلى إفريقية[9]، فقد اعتبر المقدسي[10]أن أسد بن الفرات(ت213هـ/828م) كان أول من أدخل هذا المذهب إلى إفريقية. لكن الراجح أن المذهب عرف طريقه إلى إفريقية قبل ذلك، وربما في حياة مؤسسه، فقد ذكر أبو العرب[11]أن بدايات معرفة إفريقية للمذهب كانت على يد عبدالله بن مغيرة الكوفي الذي عاش في النصف الأول من القرن الثاني الهجري، وأخذ بذلك الباحث فندرهايدن[12].كما ذكر أبو العرب[13]أن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم(ت161هـ/778م) قصد الكوفة وسمع من علمائها ثم عاد إلى القيروان بعلم أهل العراق، وكان يفتي على مذهب مالك وأبي حنيفة. كما

رحل عبد الله بن فروخ الفارسي (ت حوالي 185هـ/801م)، إلى العراق "وهناك سمع من أبي حنيفة مسائل كثيرة مدونة، ويقال إنها نحو عشرة آلاف مسألة"[14]، وكان "يميل إلى طريقة أهل النظر والاستدلال"[15]، ويقول بشرب النبيذ وتحليله ويروي أحاديث في ذلك[16]. وساعد ابنَ فروخ في ذلك الفقيهُ عبد الله بن غانم الرعيني (ت190هـ/805م)[17]،الذي رحل في طلب العلم ودخل العراق ولقي أبا يوسف، ثم عاد إلى القيروان، لينشر مذهب أبي حنيفة[18].

واذا لم يكن أسد بن الفرات هو أول من نشر المذهب الحنفي بإفريقية، فإنه صاحب الفضل في تدعيمه حيث كان شديد الميل إليه رغم كونه أحد مؤسسي المذهب المالكي[19]؛حيث تشير الروايات إلى أنه كان يقوم بتدريس المذهبين معاً في دروسه[20]،فقد سافر إلى المشرق وأخذ عن مالك بالمدينة وعن أبي يوسف والشيباني بالعراق[21]، مما مكنه أن يتعمق في المذهبين، ويجمع كتباً كثيرة عنهما، ويتحصل بذلك على رئاسة فقهية، هيأت له نشر المذهبين في إفريقية، وإن مال اهتمامه بنشر آراء أبي حنيفة، بسبب التنافس بينه وبين سحنون، فتكاثر حوله أتباع هذا المذهب ومال إليهم، وتخرج على يديه جم غفير من العلماء[22].ولا شك أن تولي أسد بن الفرات لقضاء إفريقية كان عاملاً قوياً في انتشار المذهب الحنفي بها، يقول المقريزي[23]:" ثم غلب أسد بن الفرات بن سنان قاضي إفريقية بمذهب أبي حنيفة"، كما أسهم الأحناف القادمون من العراق في دعم أسد بن الفرات من أجل نشر المذهب الحنفي بإفريقية، مثل عبدالله بن يزيد المقري الذي أخذ عن أبي حنيفة[24]،ثم قدم القيروان عام 156هـ/773م ليأخذ عنه جماعة من طلاب العلم فيها[25].

3. أفول نجم المذهب الحنفي وأسبابه:

تراجع المذهب الحنفي خلال ق4هـ/10م، فقد فر عدد كبير من الأحناف بصحبة زيادة الله الثالث إلى المشرق، وقام المهدي الفاطمي بحبس عدد منهم وتشريدهم بسبب ثورتهم عليه بعد مقتل أبي عبدالله الشيعي ،كما تشيع عدد كبير من الأحناف طمعاً في منصب أو رغبة في

تحقيق مصلحة ،أو طوعاً واقتناعاً بسبب اتفاق الحنفية مع الشيعة في مسألة تفضيل علي وبعض المسائل الفقهية ، وقد سجل لنا الخشني قائمة بأسماء هؤلاء الذين تشيعوا وأحصاهم بأحد عشر حنفياً، في حين استقل البعض هذا الرقم وذهب إلى أنه يتجاوز ذلك بكثير .بيد أن ذلك لا يعني تشيع جميع أحناف إفريقية؛ حيث تشير المصادر إلى تداول كتب أبي حنيفة، وحضور عدد من أتباع مذهبه بإفريقية خلال حكم الفاطميين ، وهو ما يدحض الرواية القائلة باندثار كتب أبي حنيفة بإفريقية خلال فترة قضاء سحنون . لكن الثابت أن المذهب الحنفي اندثر في إفريقية في منتصف ق5هـ/11م مع اعلان المعز بن باديس القطيعة الكبرى مع الفاطميين.

تذكر احدى الروايات أن حفيد أبي حنيفة اسماعيل بن حماد كان يقول بخلق القرآن وأنه كان مذهب آبائه وأجداده ، وثمة شبه بين آراء الأحناف والمعتزلة ، وهو ما حدا بالأحناف لتبني آراء المعتزلة الفلسفية ،ولذا لم يتحرج بعض الأحناف عن مسايرة السلطة الأغلبية وتبنوا الفكر الاعتزالي ، حتى فسر البعض أفول نجم المذهب الحنفي بالمغرب لاتصاله المباشر بالمعتزلة أواخر ق3هـ/9م .وهكذا تؤكد المصادر على اعتناق بعض أحناف افريقية للاعتزال، فقد ذكر ابو العرب تميم أن القاضي أبا محرز الكناني "كان يقول بالاعتزال"، واتهم عبدالله بن فروخ بالاعتزال ، وعنف البهلول بن راشد تلميذاً له لأنه وقف يستمع لمجموعة من الأحناف عند "سقيفة العراقي وهم يتناظرون في الاعتزال" ،ولما توفي الفقيه الحنفي ابن صخر رفض ابن غانم الصلاة عليه لأنه كان معتزلي . ورحل بعض الأحناف إلى العراق ليعودوا حاملين معهم الأفكار الاعتزالية، ومؤلفات اعتزاليه، وسليمان بن عصفور المعروف بالفراء الذي رحل إلى العراق وتلقى على شيوخ معتزلة ثم عاد للقيروان ليطرح مبادئ مذهب الاعتزال في مؤلفات تتناول قضايا القرآن وغيرها ، والفقيه الحنفي عبدالله بن الأشج عاد من العراق ليطرح على الناس مسألة القدر ومسألة الوعد والوعيد . وأحصى الخشني تسعة علماء من الأحناف المعتزلة القائلين بخلق القرآن، ممن اشتهروا بالجدل والكلام والبراعة في المناظرة، استغلوا تبني الأغالبة لهذا الفكر، وراحوا يعقدون حلقات علمية لنشر الاعتزال. وتشير المصادر أن الفقيه

الحنفي أسد بن الفرات كان يسفه آراء المعتزلة في مسألة خلق القرآن، بل كان يواجه معتنقي ذلك الرأي من الأحناف بالعنف والضرب ، ورغم ذلك فلم يسلم هو نفسه من الاتهام بالقول بخلق القرآن، وهو ما نفاه الفقيه المالكي سحنون بشدة.

وفي عهد الأمير الأغلب بن ابراهيم بن الأغلب(223-226هـ/ 838 -841م) كانت تجرى مناظرات في مجلسه بين فقهاء المالكية وبعض فقهاء الأحناف المعتزلة حول مسألة خلق القرآن، والتي كان يحصل فيها المعتزلة على مساندات الأمير الواضحة ضد المالكية .

أما ابنه الأمير محمد بن الاغلب بن ابراهيم (226-242هـ/841-856م) فقد أمر بالدعوة إلى الاعتزال على المنابر، وكان يستدعي إلى مجلسه فقيه المالكية سحنون بن سعيد للدخول في مناظرات طويلة وصراع شديد مع القاضي الحنفي عبدالله بن أبي الجواد الذي كان يقول بخلق القرآن، مما تسبب في تعرضه للكثير من المحن والاضطهادات بسبب موقفه المتصلب أمام الأمير الأغلبي .وفي الاطار ذاته تأتي طبيعة الخلاف بين سحنون والقاضي الحنفي سليمان بن عمران الذي كان يجاهر بآرائه الاعتزالية من حيث مسائل خلق القرآن، ورؤية الله تعالى، وقضايا الجبر والاختيار.

كما تشير المصادر إلى مناظرات بين محمد بن سحنون والأحناف المعتزلة في مجلس الأمير محمد بن أحمد بن محمد (250-261هـ/864-875م) ، كما دارت هذه المناظرات في مجلس الوزير ابن حميد.

وفي عهد ابراهيم بن أحمد(261-289هـ/864-902م) أثار الفقيه الحنفي محمد بن عبدون مسألة خلق القرآن، ودخل في مناظرات قوية مع الفقيه المالكي سعيد بن الحداد(ت302هـ/914م) في مجلس الأمير الاغلبي .

أما الفقيه والقاضي الحنفي محمد بن شعيب الصديني فكان شديد التعصب لميوله الاعتزالية، حتى أنه أقنع الأمير عبدالله بن ابراهيم بن احمد(289-290هـ/864-903م) بكتابة منشورات تدعو إلى القول بخلق القرآن بالقوة والاكراه، مما تسبب في غضب عارم بين صفوف المالكية ، سعى الأمير زيادة الله الثالث (290-296هـ/903-909م) إلى

امتصاصه من خلال عزله للقاضي الصديني وعين مكانه المالكي حماس بن مروان(ت303هـ/915م) إرضاء للعامة الذين كان يحركهم المالكية .

4 .دور الأحناف التعليمي:

تشير المصادر إلى دور الأحناف التعليمي من خلال القيام بعمليات التدريس، فقد أصدر القاضي سحنون أوامره بمنع الأحناف المعتزلة من التدريس بالكتاتيب والمساجد وتولي الأذان ، ووجه الفقيه المالكي أبو اسحاق الجنبياني(ت399هـ/979م) نصحيته لأصحابه بألا يعلموا أولادهم عند الكتاتيب التي يتولى الأحناف والمعتزلة التدريس فيها، واستدعى قصة معلم حنفي معتزلي كان يدرس بأحد الكتاتيب، نجح في زرع قضية خلق القرآن في نفوس تلامذته الصغار.

وتعطي المصادر أسماء أشهر من تولى التدريس من الأحناف بحلقات المساجد، مثل: "عبدالله بن غانم" الذي كان يخصص يوم الجمعة لقراءة كتب أبي حنيفة ،و"أبو الحسن الكوفي" الذي تتلمذ عليه حماس بن سماك الهمذاني الحنفي ، و"ابن عبدون" الذي تلقى عليه العلم سليمان بن عمران ، كما أنه أجاز أبا جعفر الصحاوي ،وشيخ يدعى "ابن الكبر" كان يتولى في دروسه شرح "امهات كتب العراقيين" ،وشيخ يدعى "أبو عمرو ميمون" أدركه الخشني شيخاً كبيراً عام 303هـ/915م وقرأ عليه موطأ الامام مالك، ، وشيخ يدعى "أبو العباس بن زرزر" كان حافظاً بمذهب أبي حنيفة، وينصح طلاب العلم بـ"الدرس بالليل والمناظرة بالنهار" ، و"يحي بن محمد بن قادم" كان له حلقة علم في مسجده المعروف بمسجد ابن قادم تقرأ عليه المغازي ، و"أبو اسحاق المعروف بالعمشاء" كان له حلقة علم في الفرائض يقصدها طلاب العلم ، ومن الكتب التي كانت تدرس لطلاب العلم الأحناف في هذه الحلقات، أمهات كتب المذهب لأبي يوسف ومحمد بن الحسن، وكتب المغازي والسير، ولم يتردد بعض الأحناف عن تدريس موطأ الامام مالك.

كانت الرحلة في طلب العلم إحدى الوسائل التي اتبعها طلاب العلم الأحناف في تحصيل العلوم والمعارف، فعلى سبيل المثال أورد الخشني أسماء بعض الأحناف الذين رحلوا إلى بغداد وتلقوا العلم على شيوخها، منهم سليمان بن أبي عصفور وعبدالله بن الأشج.

وكان لبعض الأحناف عناية كبيرة بجمع الكتب وتحصيلها وتكوين المكتبات، مثل "ابن حبيب الدري" الذي وصفه الخشني بأنه كان "كثير الكتب". وفي هذا الاطار يمكن الاشارة إلى بيت الحكمة في رقادة الذي أسسه الأمير الأغلبي ابراهيم الثاني(261-289هـ/875-902م) والذي بلغ شهرة كبيرة تضاهي بيت حكمة بغداد العباسية ، واستقدم له العلماء الأجلاء من أطباء وفلكيين ومترجمين من الشرق وصقلية، وجلب له نفائس الكتب من العراق والشام ومصر في شتى الموضوعات من فلسفة وتاريخ وطب ونبات ، وسخر فتيانه الصقالبة – الذين كانوا على دراية باللغتين العربية واللاتينية – في ترجمة المصنفات اللاتينية إلى اللغة العربية، وكلف بعض اللغويين من أهل إفريقية بتنقيح تلك الترجمات لغوياً وإعادة صياغتها في قالب عربي صحيح لتعم فائدتها ،وقد أسند الأمير مهام تنظيمه وتسييره إلى جهاز يضم عدداً من علماء الأحناف، جعل على رأسه ابراهيم بن أحمد الشيباني العراقي البغدادي نزيل القيروان (ت298هـ/910م) أصيل بغداد المعروف بالرياضي، الذي تتلمذ على أكابر علمائها في اللغة والأدب وسائر العلوم، فصار "عَالما أديبًا ومرسلاً بليغًا ضَارِبًا فِي كلّ علم وأدب بِسَهْم" .

5 . رواد الحركة الفكرية بإفريقية من الأحناف :

1.5 علوم القرآن:

منهم يحي بن سلام الكوفي الحنفي(ت200هـ/816م): ولد بالكوفة وتلقى العلم بها، ثم انتقل للبصرة، وتتلمذ على مشايخها، ثم رحل للقيروان ودرس على الفقيه الحنفي عبدالله بن فروخ الفارسي، وتعمق في علم التفسير بشكل كبير، وبات من كبار المفسرين، وتتلمذ على يديه عدد كبير من طلاب العلم بها، من أشهر مؤلفاته كتاب "التصاريف في تفسير القرآن مما اشتبهت أسماؤه وتصرفت معانيه"، وللكتاب أهمية كبرى باعتباره أقدم مؤلفات القرن الثاني الهجري، كما تناول دراسة القرآن دراسة لغوية ومعجمية وقام بتجميع الآيات النظائر المتفقة

لفظاً والمختلفة في المعنى ،كما ينسب لابن سلام أيضاً كتاب آخر في التفسير بعنوان "تفسير القرآن" ويقع في ثلاث مجلدات كبيرة.

وأسد بن الفرات:كان يتولى تدريس القراءات في إحدى قرى افريقية ، وموسى بن عبد الرحمن بن جندب المعروف بموسى القطان الحنفي(ت306هـ،/918م):تولى قضاء طرابلس في عصر الاغالبة، وضع تفسيراً من مائة وعشرين جزءا في أحكام القرآن ،وابراهيم بن محمد الشيباني الحنفي: كتب تفسيراً سماه "سراج الهدى" يتناول مشكل القرآن وإعرابه ومعانيه،وسليمان بن أبي عصفور(ق4هـ/10م):كان من الأحناف المعتزلة من أهل الجدل والمناظرة، له كتاب "في مشكل القرآن"، وكتاب "في خلق القرآن"، وكتاب "في أعلام النبوة. "

و قد تجلى أثر الاتجاه الفقهي في اختيار القراءات، فلما كان المذهب الحنفي هو السائد بإفريقية خلال عصر الأغالبة فقد كانت القراءة الشائعة هي قراءة حمزة وهي القراءة المشهورة بالكوفة، يقول ابن الفرضي عن أهل إفريقية: "ان الغالب على قراءتهم حرف حمزة، ولم يَكُنْ يقرأُ بحَرفِ نافعٍ إلاَّ خواص."

2.5الحديث والفقه:

ومنهم عبدالله بن المغيرة الكوفي: سمع الحديث من سفيان الثوري ومن كبار الكوفيين، وقد روى عنه الحديث جماعة من أهل افريقية منهم: سليمان بن عمران ، وروى عنه عبد الملك بن حبيب في الواضحة ، قال عنه أبو العرب "حَدِيثُهُ فَمُسْتَوى حَدِيثِ الْحُذَّاقِ بِالْحَدِيثِ، وَلَكِنَّهُ كَانَ كُوفِيًّا، فَأَظُنُّهُ كَانَ يَسْتَحِلُّ شُرْبَ النَّبِيذِ الشَّدِيدِ كَمَا يَسْتَحِلُّهُ الْكُوفِيُّون. "

ومنهم عبدالله بن فروخ الفارسي: ذكر أبو العرب أنه" كان ثقة في حديث"، وقد جلس في جامع القيروان عشرين سنة يدرس ويعلم الفقه والحديث،وعبدالله بن غانم:بث في القيروان روايات عبد الرحمن بن زياد وهي خمس مائة حديث.

وأسد بن الفرات: حمل الحديث عن محمد بن الحسن وكان من كبار رواة الحديث والفقه، وأكثر من سماع الثقات في الحديث، وجمع هذه الروايات في كتابه "الأسدية"، وقد بلغت مروياته 32 ألف حديث ، وصف بأنه "ثقة لم يكن فيه شيء من البدع. "

ومنهم ابن عبدون: وكان عالماً بمذهب العراقيين يتفقه لأبي حنيفة ويحتج له. وله مؤلفات منها كتاب يعرف "بالآثار في الفقه" و"الاعتلال لأبي حنيفة" و"الاحتجاج بقوله" وهي تسعون جزءا، اشتغل بكتابة الوثائق وله في ذلك مؤلفات وكان يحسن العربية والنحو.

وابراهيم بن محمد الشيباني الحنفي(ت298هـ/910م):: له مسند في الحديث وخلف بن معمر بن منصور(ت303هـ/915م): من الفقهاء العراقيين، كان والده معمر بن منصور قد سمع من ابن فروخ، ومن أسد ابن الفرات ، وكان يروى هو عن أبيه، وكان أصح الناس سماعاً عنه، وكان يقول بتحليل المسكر ما لم يسكر منه ،أبو اسحاق المعروف بالعمشاء: يعد من أعلام الفقه الحنفي، يحسن الفرائض.

3.5 الدراسات الأدبية:

ومنهم قتيبة بن مهران الجعفي الكوفي الحنفي(ت200هـ/816م): أحد أئمة اللغة والنحو استدعاه يزيد بن حاتم فأقام فترة بالقيروان، واستعان به ابن غانم في تأكيد معلومة نحوية اختلف فيها مع الأمير، فأكد صحة ما ذهب إليه ابن غانم ،ابراهيم بن محمد الشيباني(ت298هـ/910م):: أشهر شخصية أدبية برزت من الأحناف، حيث كان لد دوره الكبير في إثراء النثر، فقد تتلمذ على يدي أبرز الكتاب المشهورين كالجاحظ والمبرد، وتأثر بأبي تمام والبحتري، وورد إفريقية في عصر الأغالبة، ومكنته قدرته الأدبية من تولي رئاسة ديوان الانشاء، ولما زالت دولة الأغالبة، عرف الفاطميون قدره، فعينه المهدي كاتباً ومشرفاً على بيت الحكمة القيرواني، حتى توفي عام 298هـ.وقد وصفته المصادر بالأدب الرفيع، والترسل البليغ، والشعر الرائق.

ومحمد بن أحمد بن الفرج البغدادي الحنفي(ت290هـ/903م): ممن وفد على ابراهيم بن أحمد الأغلبي من العراق، فألحقه بديوان الإنشاء، وكانت له مشاركة عالية في فنون الأدب، مكنته من تولي وظيفة صاحب ديوان البريد.

ومهرية بنت الحسن بنت غلبون الحنفية(ق3هـ/9م): وهي احدى أميرات الأسرة الأغلبية، نالت حظاً وافراً من العلم بخاصة علوم اللغة والأدب، وتفتحت قريحتها الشعرية حتى باتت من مشاهير عصرها، وحفظت المصادر قصائد شعرية قالتها في مناسبات مختلفة.

أبو الفضل بن ظفر(ق4هـ/10م): كان شاعراً مرسلاً وأديباً.

4.5. العلوم العقلية:

و منهم يحي بن سليمان الفارسي الحنفي (ت237هـ/851م): قال عنه الدباغ :كان ثقة، عالماً بالفرائض ،والحساب، فطلب لخدمة السلطان لأجل علمه بالحساب فهرب إلى المشرق "، ومنهم محمد بن زرزور الفقيه الفارسي(238هـ/852م): كان على مذهب أبي حنيفة، وكان حافظا لبيبا، نظر في النجوم والحساب.

وإبراهيم بن محمد الشيباني البغدادي المعروف بالرياضي (ت298هـ/910م): ورغم أن لقب الرياضي كان يسبق اسمه في كتب التراجم إلا انها لم تورد له شيئاً في علم الرياضيات، أحمد بن يحي بن طيب: لقبه ابن عذاري بالفقيه الحنفي المتطبب، قتل سنة 297هـ/909م.

واسماعيل بن يوسف الحنفي المعروف بالطلاء(ت302هـ/914م):كان منجماً وصيدلانياً ومما يذكر عن براعته في علم الصيدلة أنه عندما هم على مغادرة بغداد عائداً للقيروان تلطف في معرفة سر صناعة الطلاء العراقي الذي كان أهله يضنون بصناعتهم ، فتحيل حتى عرف سر هذا المركب الكيميائي المسمى الضماد والذي كان عبارة عن طلاء يعمل من خلط العقاقير بمائع خلطا محكما .

أبو الفضل بن الفضل بن علي بن ظفر(ت323هـ/935م):تلقى الطب على اسحاق بن عمران واسحاق بن سليمان، وتولى التدريس ببيت الحكمة القيرواني .ذكر الخشني أنه "كان من أهل الرسوخ في علم الطب" إلا أنه لم يورد شيئاً عن نشاطاته الطبية.

الخاتمة:

عرف المذهب الحنفي طريقه لإفريقية خلال القرن الثاني الهجري عن طريقين: أحدهما فردي: تكفل بوصوله بعض علماء افريقية ، الذين قاموا برحلات علمية إلى الحجاز العراق، والتلقي على أعلام المذهبين المالكي والحنفي، ولذا، لم يكن هؤلاء الرواد الأوائل أحنافاً بالكامل، وهو ما يفسر تبنيهم للمذهبين المالكي والحنفي، وإن مال بعضهم في الفتيا مذاهب العراقيين على الاختيار26.أما الطريق الثاني: فهو الطريق الرسمي، فضلاً عن تولي الأحناف للقضاء.وكانت أسدية بن الفرات أهم مصدر حافل بالمسائل الحنفية، اعتمد عليه أحناف افريقية، بل امتد أثرها إلى الاندلس؛حيث وفد رجالها على القيروان بغية دراستها، فقد سمعها عبدالله بن خالد القرطبي(ت256هـ/869م) بالقيروان، وأدخلها عيسى بن دينار إلى الأندلس، وحث يحي بن يحي الليثي(233هـ/847م) ابن القاسم على مراجعتها وتهذيبها لكثرة الأقاويل فيها27.واعتنق عدد من الأحناف الاعتزال تماشياً مع السلطة، وهو ما يفسر حالة العداء الشديد مع المالكية، الذين لم يتردد قضاتهم عن انزال أشد ألوان الاضطهاد بهم، والتي أودت بحياة بعضهم. ولعل مما رسخ من هذا العداء انتشار الفكر الأشعري بين عدد من المالكية28، والمعروف أن هذا الفكر يحد من سلطان العقل لصالح النقل عكس المعتزلة، كما أنه اعتبر الاعتزال بدعة وزندقة29.ونبغ الأحناف إلى جانب بروزهم في فقه مذهبهم في علوم أخرى مثل: التفسير، والحديث، وعلوم اللغة، والعلوم الطبيعية.

7. هوامش:

[1] عياض: مصدر سابق، ج1، ص275.
[2] الخشني: مصدر سابق، ص255.
[3] المالكي: مصدر سابق، ج1، ص263، ج2، ص284.
[4] الخشني: مصدر سابق، ص248.

[5]ابن الصغير: أخبار الائمة الرستميين، تحقيق: محمد ناصر وابراهيم بحاز، المطبوعات الجميلة، الجزائر، 1986، ص32، البكري: مصدر سابق، ج2، ص791، مجهول: الأنجم الزاهرة في فتوح إفريقية، دار الكتب، تونس، د.ت، ص193

[6]عياض: مصدر سابق، ج1، ص15.

[7]المقدسي: مصدر سابق، 255.

[8]مصدر سابق، ج1، ص16.ثم تابع مقال الطيب بوسعيد: "المذهب الحنفي في الأندلس (ق2-4هـ/8-10م)"، مجلة الحكمة، الجزائر، ع8، 2016، ص148-162.

[9] يرى نجم الدين الهنتاتي أن السبب في ذلك يعود لطبيعة المصادر التي تناولت تاريخ المذهب الحنفي ببلاد المغرب، وهي في الأساس كتب طبقات علماء المالكية، التي كان لها موقف عدائي من أتباع هذا المذهب، ووصفوهم بالمبتدعة، لذلك تناولوهم في كتبهم بشكل عرضي، وروايات متضاربة.مرجع سابق،ص314.

[10]مصدر سابق، ص237.

[11] طبقات علماء إفريقية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ص162.

[12] Vonderheyden (M) La Berbérie orientale sous les Banu'l Arlab 800-909, Paris, 1927, p.140

[13] مصدر سابق، ص28-33.

[14] عياض: مصدر سابق، ج1، ص197، أبو العرب تميم: مصدر سابق، ص34، محيي الدين الحنفي: مصدر سابق، ج1، ص280.

[15] المالكي: مصدر سابق، ج1، ص177.

[16] محيي الدين الحنفي: مصدر سابق، ج1، ص280.

[17] انظر بخصوصه منير بنجمور: "من فقهاء القيروان عبد الله بن غانم صاحب الإمام مالك بن أنس وقاضي إفريقية"، مجلة الهداية، المجلس الإسلامي الأعلى للجمهورية التونسية، تونس ، ع 180، 2011، ص 61 – 68.

[18] المالكي: مصدر سابق، ج1، ص215، عياض: مصدر سابق، ج1، ص180.

[19] Vonderheyden: op.cit.p.135.

[20]الدباغ: معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، المطبعة العربية التونسية، تونس، 1320هـ، ج2، ص11، عبد المجيد بن حمدة: المدارس الكلامية بإفريقية إلى ظهور الأشعرية، مطبعة دار العرب، تونس، 1986، ص38. .

[21]ابو العرب تميم: مصدر سابق، ص82، ابن فرحون: مصدر سابق، ج1، ص305.

[22]عياض: مصدر سابق، ج1، ص272، 272.

[23]المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، دار الكتب العلمية، بيروت، 1418 هـ، ج4، ص15.

[24] هبة الله بن منصور اللالكائي: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة واجماع الصحابة، تحقيق: أحمد سعد حمدان، دار طيبة، الرياض، 1402هـ، ج1، ص483.

[25]ابو العرب تميم: مصدر سابق، ص81، عياض: مصدر سابق، ج1، ص186، 526،،

[26]الخشني: أخبار الفقهاء والمحدثين، دراسة وتحقيق: ماريا لويسا ولويس مولينا، معهد التعاون مع العالم العربي، مدريد، ص13.

[27] الطيب بوسعد: "المذهب الحنفي في الأندلس ق2-4هـ/8-10م"، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، الجزائر، ع8، 2016، ص149-150.

[28]نجم الدين الهنتاتي: " تطور موقف علماء المالكية بإفريقية من الخوض في المسائل الكلامية وتبنيهم للعقيدة الأشعرية"، مجلة معهد الآداب العربية، تونس، ع 55 ، 1992 ، ص302،

Robert Brunschvig, «Mu’tazalisme et as’arisme à Bagdad», Arabica, 9 (1962), p. 351

[29] انظر الأشعري:الابانة عن أصول الديانة،القاهرة،د.ت،ص17.